تقـــدمة

يعد العلامة " محمد إقبال " أحـــد أشـــهر المفكـــرين والفلاســـفة والمصلحين الإسلاميين في العصر الحديث ، لقد وقف حياته كلها لخدمة أمته الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، فجاءت روائعه المنظومة بلغته الأم اللغة الأردية الإسلامية ، تعبيراً صادقاً ومخلصاً عـــن آمالـــه العريضة لمستقبل أمته الإسلامية التي ارتضى لها أن تكون في صـــدارة الأمم .

وبادىء ذى بدء ، نرى من الخير ، أن نعرف القـــارئ العربـــي الكريم بالعلامة "محمد إقبال" ، لنقف من خلال ســـيرته العلميـــة وفكـــره الإسلامي المستنير ودعوته الإصلاحية ، على جوانب هامة تميزه عـــن أقرانه ممن عاصروه وعايشوه ، على أن نتبع كل هذا بالتعريف بالكتاب الذي بين أيدينا ، ويتضمن جل ما نظمه بلغته الأم اللغة الأردیـــة إحـــدى لغات الشعوب الإسلامية .

مولده ونشأته وتعليمه :

ولد العلامة " محمد إقبال " في مدينة سيالكوت – التابعة لإقلـــيم بنجاب الباكستاني – في الثالث من شهر ذي القعدة عام ١٢٩٤ الموافـــق التاسع من شهر نوفمبر عام ١٨٧٧ (١) في بيئة دينية وأسرة صوفية – من آل كشمير المسلمة – اعتنق أفرادها الدين الإسلامي الحنيف منذ عدة قرون ، وساهموا بدور ملحوظ في نشره بين مواطنيهم من الهندوس.(٢).

---

(١) أحمد معوض (دكتور) ، العلامة محمد إقبال حياته وآثـــاره ، الهيئـــة المصـــرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٩ .

(٢) أحمد عمر هاشم (دكتور) ، محمد إقبال المفكر الإسلامي والمصلح الاجتماعي ، بحث ضمن كتاب المؤلف : محمد إقبال المصلح ، الفيلسوف الشاعر الإســـلامي الكبير ، (الكتاب الثاني من سلسلة الاحتفال بإحياء ذكرى العلامة محمد إقبال في مصر) ، ط ١ ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص ٤٣ .

تلقى " إقبال " تعليمه الديني ودراساته الأولى بالمدارس الحكومية في مسقط رأسه (٣) . ثم رحل إلى مدينة لاهور - حاضرة إقليم بنجاب وعاصمة الثقافة الإسلامية في شبه القارة الهندية الباكستانية - والتحق بالكلية الحكومية في جامعة بنجاب العريقة ، وفيها تتلمذ على يد علماء وأدباء وفلاسفة أجلاء ، وأتقن اللغة الإنجليزية وظهرت موهبته الفذة في نظم الشعر بلغته الأردية ــ اللغة القومية في باكستان واحدي اللغات القومية في الهند ــ ونال درجة الليسانس في الآداب عام ١٣١٥/ ١٨٩٧، فدرجة الماجستير عام ١٣١٧ / ١٨٩٩ ، ثم عين مدرساً في نفس الكلية .

وفي عام ١٣٢٣ / ١٩٠٥ رغب في السفر إلى أوروبا (٤) رغم وعيه التام بأن الأوروبيين المستعمرين هم السبب الأكبر في المشكلات المزمنة التي يعاني منها العالم الإسلامي بأسره ، وكان هدفه من سفرته تلك الاتصال عن قرب بحضارتهم لدراستها في ضوء المفاهيم الإسلامية، والاستفادة من علومها التي لا تتعارض مع القيم الإسلامية الأصيلة (٥) وليدلل على أن صلة الإسلام بالعلم صلة وثقى لا تنفك عراها - وليس كما يزعم كثير من المستشرقين غير المنصفين - وأن على المسلم طلب العلم في كل مكان وزمان (اطلبوا العلم ولو في الصين) .(٦)

---

(٣) للتفصيل انظر : عبد الوهاب عزام (دكتور) ، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره ، ط ٣ ، إقبال أكاديمي باكستان ، لاهور ، ١٩٨٥ ، ص ١٩ ، ٢٠ .
عثمان أمين (دكتور) ، أعلام الفكر الإسلامي المعاصر ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة، ١٩٩١ ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٤) محمد منور ، حياة إقبال ، تعريب : ظهور أحمد ظهور (دكتور) ، بحث ضمن مجلة إقباليات العربية ، العدد الأول ، أكاديمية إقبال الباكستانية ، لاهور ، ١٩٩٢ ، ص ١٣ ، ١٤.

(٥) راجع : محمد السيد سليم (دكتور) ، رؤية محمد إقبال لعلاقة العالم الإسلامي بالغرب، بحث ضمن كتاب المؤلف : حكيم الأمة وشاعر الإسلام العلامة محمد إقبال ، (الكتاب الأول من سلسلة الاحتفال بإحياء ذكرى العلامة محمد إقبال في مصر ، ط ٢ ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤١٨ / ١٩٩٧ ، ص ٥٢: ٥٥ .

(٦) حديث شريف .

في إنجلترا وألمانيا :

وصل " إقبال " إلى إنجلترا ، وفى مدينة كمبريدج التحق بجامعتها حيث درس الفلسفة والقانون ، كما عقد صلات وثقى مع بعض المستشرقين المتخصصين في اللغات والآداب الشرقية ، مما أفضى به إلى إجادة اللغة الفارسية إجادة تامة . ثم قام بزيارة للعديد من بلدان القارة الأوروبية واستقر به المطاف في ألمانيا ، حيث التحق بجامعة ميونخ ، وقدم رسالة – باللغة الإنجليزية – نال بها درجة الدكتوراه في الفلسفة، موضوعها : " تطور الغيبيات في فارس " . (٧)

ومما يجدر ذكره أن إقامة " إقبال " فترة بلغت ثلاث سنوات في أوروبا ، لم تغير في أخلاقه الإسلامية الأصيلة . بل لقد تركت الأثر الطيب في فكره ودعوته الإسلامية المستنيرة . إنه طالع عن قرب زيف ما يسمونه بالحضارة الغربية ، فأخذ أثناء إقامته بين ظهرانيهم ينتقد – وعلى الملأ – الجوانب المادية في حضارتهم ، خاصة فصلهم بين السياسة والدين ، وعرض الإسلام بديلاً لها ، لأنه الدين الأوحد الذي جمع بين النواحي الروحية والمادية للبشرية قاطبة في نمط فريد ، فكان يرى:" أن رسالة الإسلام هي وحدة البشرية ، وأن الدين هو أساس السياسة ."

العودة إلى بلاده :

وعاد " محمد إقبال " إلى بلاده في شهر يوليو عام ١٣٢٥ / ١٩٠٨ ، وفي طريق عودته إلى مدينة لاهور مر بمدينة دهلي ، فزار مرقد العارف بالله " نظام الدين أولياء " – أحد أشهر أقطاب التصوف الإسلامي – وكأنه بهذا الصنيع كما يقول الدكتور " أحمد معوض " :" رغب في الإعلان عن أن فتنة الغرب وحضارتهم المزعومة لم تغير شيئاً في دخيلته ". (٨) وما هي إلا سنوات قلائل حتى عرف واشتهر وذاع صيته في كل أرجاء شبه القارة الباكستانية الهندية وخارجها ، خاصة بعد صدور دواوينه التي تحمل فكره ورسالته الخالدة .

---

(٧) محمد منور ، حياة إقبال ، ص ١٤ .

(٨) العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ، ص ٥٧ .

دواوينه في اللغتين الفارسية والأردية :

نظم " إقبال " باللغة الفارسية أكثر مما نظم بلغته الأم اللغة الأردية ، ومرد ذلك إلى أن الفارسية تعد لسان الثقافة والدعوة الإسلامية واللغة الإسلامية الثانية بعد اللغة العربية ، والأردية تأتي في الترتيب بعد العربية الفارسية والتركية ، أي أنها رابع أكبر لغات العالم الإسلامي . ففي الفارسية نظم المجموعة الشعرية التي تتضمن الدواوين الآتية :

(١) الأسرار والرموز
(٢) رسالة الشرق
(٣) زبور العجم
(٤) هدية الحجاز
(٥) رسالة الخلود
(٦) ماذا ينبغي أن نصنع يا أمم الشرق

وكلها مترجمة إلى العربية نثراً وشعراً . أما في الأردية فنظم المجموعة الشعرية التي تحوي الدواوين الآتية :

(١) رنين الجرس
(٢) جناح جبريل
(٣) ضرب الكليم
(٤) هدية الحجاز

ويشرف كاتب هذه السطور بتقديمها مترجمة إلى قراء العربية كاملة ، ولأول مرة .

هذا وقد أخذ "إقبال" على عاتقه مشروع نهضة بأحوال المسلمين في العالم الإسلامي قاطبة ، فقد رأيناه في مؤلفاته المنظومة والمنثورة ، يبين أنه لا تقدم بغير التمسك بالشرع الحنيف ، والعمل على قيام وحدة إسلامية حقيقية .

مصر الأزهر في فكر إقبال :

نالت مصر – من بين أقطار الوطن العربي الكبير – عظيم اهتمام وشغف العلامة إقبال . إنه ومنذ أن بزغ نجم شهرته في آفاق العالم الإسلامي وحتى رحيله عن دنيانا ، في الحادي والعشرين من شهر إبريل

عام ١٩٣٨ ، لم ينفك عن ذكرهـــا في مجالسه ومحافله الأدبية . ولقد رفع من منزلتها السامية في كتبه المنظومة باللغتين الأردية والفارســية ، وكذلك في رسائله الأدبية ، على أنها معقل الحضارة الإسلامية الخالدة ، التي يسطع نورها من جنبات الجامع الأزهر الشريف ، ليعم الآفاق على مر العصور .

إقبال في ميناء السويس المصري :

هذا وكانت السفينة التي استقلها " إقبال " – في سفرته إلى إنجلترا – قد مرت بقناة السويس المصرية ، وفي ميناء السويس صعد إلى السفينة عدد كبير من أصحاب الحوانيت المسلمين ، واشترى " إقبال " من شـــاب منهم ، ودار بينهما حديث ، أخبره " إقبال " بأنه مسلم ، فتعجب المصري، لأن " إقبال " كان يضع على رأسه قبعة . يقول " إقبال " :" من الغريـــب أن هذا الشاب المصري كان يتكلم باللغة الأردية ، وحينما أخبرته أننـــي مسلم ، قال لي بالأردية [ما ترجمته] : أنت مسلم وأنا مسلم أيضـــاً ". وسأل " إقبال " عما إذا كان لا يشرف الإسلام أن يضع قبعة على رأسه ، فرد الشاب المصري قائلاً : " إن المسلم إذا لم يكن ملتحيـــاً ، فعليـــه أن يضع غطاء الرأس التركي (الطربوش) ، وإلا فما العلامة علـــى كونـــه مسلماً ؟!". ويقول " إقبال " معلقاً على هذا : " وقلت في نفسي : ليت هذا المنطق الطيب ينتشر في بلادنا ". وعن هذا الشاب المصري يقول "إقبال": " كان هذا الصديق المصري حافظاً للقرآن الكريم ، فبدأت أرتـــل عليـــه بعض الآيات ، فملأه البشر ، والتف حـــولي جميـــع الباعـــة ، وأخـــذوا يرددون: ما شاء الله ، ما شاء الله ، ودعوا لي بالتوفيق في رحلتي. وهكذا كانت الدقائق إلى سيرة – التي ما هدفت إلا إلى البيع والشراء وحسب – تعبيراً قوياً عن قيمة الأخوة الإسلامية ". (٩)

إنه أول درس عملي استفاده " إقبال " من آل مصر ، ولقد ترك في نفسه عظيم الأثر ، مما جعله يشتاق دوماً لعقد صـــلات وثقـــى مـــع رجالات الدين والأدب والفلسفة والسياسة من أبنائها البررة .

---

(٩) راجع : أحمد معوض (دكتور) ، العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ، ص ٤٨ ، ٥٠ .

إقبال في ميناء ومدينة بور سعيد :

وحينما وصلت السفينة ميناء بور سعيد ، نزل " إقبال " واتجه إلى منابع العلم والإيمان في مدينة بور سعيد . ورأيناه في رسالة إلى صديق له أرسلها في شهر نوفمبر عام ١٣٢٣ / ١٩٠٥ يصف وصوله إلى بور سعيد قائلاً :" وصلنا إلى بور سعيد وكانت الساعة الثالثة صباحاً ، وكنت نائماً فأيقظني دكتور مصري اسمه " سليمان " ، فاستيقظت وجلست معه ، وتقابلت مع مجموعة من الشباب المصري وكلهم أعضاء في جمعية الشبان المسلمين ، وسررتُ كثيراً بهذا اللقاء ، وأرسل إلى " لطفي بك " – وهو من أشهر المحامين بالقاهرة – سلاماً على لسان الدكتور "سليمان"، وقدم لنا الدعوة لزيارة القاهرة ". (١٠)

وقوفه على كل جديد في مصر :

عرف العلامة " إقبال " ما للأزهر الشريف من منزلة لا تسامى في القيام بتعليم اللغة العربية وتدريس العلوم الإسلامية ، ووجدناه يوجه النجباء في موطنه لشد الرحال إلى الأزهر الشريف لإجادة العربية والإلمام بكافة العلوم الإسلامية . ففي رسالة أدبية إلى صديقه " محمد أكبر " كتبها عام ١٣٣٧ / ١٩٢٠ يقول: "وتعليم اللغة العربية في مصر أفضل منه في لبنان" . ويقول في رسالة أدبية أخرى أرسلها إلى الحافظ محمد فضل الرحمن الأنصاري :" إن رحيلك إلى أوربا لا يفيدك شد رحالك إلى [أزهر] مصر لتعليم العربية والإطلاع على العلوم الإسلامية".(١١)

---

(١٠) سمير عبد الحميد (دكتور) ، إقبال والعرب ، بحث ضمن مجلة جامعة محمد ابن سعود الإسلامية في عددها الخامس الصادر عن عمادة البحث العلمي بالسعودية في شهر المحرم عام ١٤١٢ / يوليو ١٩٩١ ، ص ٣٦٥ .
وللتفصيل راجع : حازم محفوظ (دكتور) ، العلامة محمد إقبال في مصر الأزهر ، ط ١ ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤١٨ / ١٩٩٨ ، ص ٣٣ : ٣٧

(١١) محمد إقبال (دكتور) ، روح مكاتيب إقبال (بالأردية) ، مرتبه : محمد عبد الله قريشي ، ط ١، أكاديمية إقبال الباكستانية ، لاهور ، ١٩٧٧ ، ص ٢٤٥ ، ٦٤٧.

وكان " إقبال " يتابع كل جديد يتعلق بالعلوم الإسلامية كتبه أبناء مصر ، يقول في رسالة أدبية كتبها عام ١٣٤٣ / ١٩٢٦ إلى "السيد سليمان الندوي": "إنما نحن في مسيس الحاجة إلى تدوين الفقه الإسلامي ، ولقد صدر في مصر كتيب في هذا الموضوع" . (١٢)

وهناك رسالة توضح مدى اهتمامه ووقوفه على التيارات الثقافية والفكرية والسياسية في مصر . وهذه الرسالة كتبها عام ١٣٤٣ / ١٩٢٦ إلى السيد شريف ، يقول فيها :" أعتقد أن هناك نشاطا فكريا وخاصة في مصر ... إن إزالة الخلافة في تركيا دفع بعض المفكرين في مصر إلى الانكباب على القرآن الكريم فيما يتعلق بمشكلة الدستور ، ولسوف يأتي بالمثل ، الدور على المسائل الفلسفية حينما ينتهي القلق السياسي". (١٣)

وتناول في ديوانه " رنين الجرس" الذي نشره في لاهور عام ١٣٤١ هـ / ١٩٢٤ م . مسألة القومية أو الوطنية ، التي كانت قد وجدت لها الكثير من المؤيدين بل الداعين إليها ، من بين الساسة والقادة في مصر .

واهتم " إقبال " باستقبال الوافدين إلى مدينة لاهور – في باكستان اليوم ، والتي طابت له مقرا – من أبناء مصر ، ودارت بينه وبينهم أحاديث ذات شجون ، عن أوضاع العالم الإسلامي والشعب الجدير بقيادة الأمة الإسلامية عقب انهيار الاستعمار. ففي عام ١٣٤٤/ ١٩٢٧ استقبل " فهمي المصري " – مدير جريدة الفكاهة بالقاهرة – ودار بينهما حديث مستفيض ، وسأله " إقبال " عن الشعب المسلم الذي يقوم بالدور الريادي للشعوب الإسلامية في العهد الحاضر ، فقال مولانا "فهمي":" هم بلا ريب آل مصر ، نظرا لأن أكثر أهلها من الشباب الجاد المتمتع بذكاء خارق ، ولا يشاركهم في هذه الموهبة أحد ، فحين تنال مصر استقلالها ، يقوم

---

(١٢) محمد إقبال (دكتور) ، روح مكاتيب إقبال (بالأردية) ، ص ٣٥٨ .

(١٣) أحمد معوض (دكتور) ، العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ، ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

بهذا الدور الريـــادي ." (١٤) ثـــم راينا مولانا " فهمي " ينظم منظومة في مدح العلامة " إقبال " ، ومما جاء فيها قوله : (١٥)

إن قلت مبتدأ باسمك لا عجـــب دكتـــور إقبال أيـــا رب الأدب
أنت الذي عرف القريض مقامه فسعى له وإلـــى معاليه انتسب
من مصر جئتك زائراً ومعظماً للواء مجدك أنت يا عالى النسب

وفي عام ١٣٤٨ / ١٩٢٩ تهيأ " إقبال " للقيام برحلة إلى أكبـــر ثلاث دول إسلامية هي مصر وتركيا وإيران ، يقول " إقبال " : " إننـــي أجتهد على قدر الإمكان ، للذهاب إلى مصر وتركيا ". غير أن عدم توفر الأموال اللازمة لهذه الرحلة حال دون تحقيق رغبته ، مما دفعـــه إلـــى تأجيلها . وكان هدفه منها القيام بتفقد أحوال المسلمين عن قرب بهذه البلاد ونشر دعوته الإسلامية . (١٦)

وشد العلامة إقبال الرحال إلى مصر في سفرة روحية ، في شهر رجب من عام ١٣٥٠ الموافق شهر ديسمبر من عام ١٩٣١ ، واســـتقبل استقبالاً رسمياً وشعبياً ومكث في الإسكندرية والقاهرة خمسة أيام ، التقى خلالها عدة مرات مع الإمام الأكبر الشـــيخ محمـــد الأحمـــدي إبـــراهيم الظواهري – رحمه الله – شيخ الجامع الأزهر الشريف، ومـــع علمائـــه الكرام . وخصص إليوم الأخير من سفرته لشد الرحال نحـــو الجـــامع الأزهر الشريف وكلياته العريقة، فقام بزيارة الجامع الأزهـــر الشـــريف وكليتي اللغة العربية والشريعة الإسلامية ومكتب الإمـــام الأكبـــر شـــيخ الجامع الأزهر الشريف .

تبجيله للأزهر الشريف ورجالاته :

ظل " إقبال " حتى وفاته يتطلع إلى الأزهر الشريف ، ويلبى نداء الإمام الأكبر، فقبل وفاته بعام وثلاثة أشهر ، راسله الإمام الأكبر الشـــيخ محمد مصطفي المراغي – رحمه الله – شيخ الجامع الأزهـــر ، وأبلغـــه

---

(١٤) للتفصيل انظر : حازم محفوظ (دكتور) ، العلامة محمـــد إقبـــال فـــي مصـــر الأزهر، ص ٤٠ ، ٤١ .

(١٥) حازم محفوظ (دكتور) ، المرجع السابق ، ص ٣٠٩ .

(١٦) أحمد معوض (دكتور) ، العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ، ص ٦٩ .

بمقدم وفد أزهري رسمي برئاسة العالم الأزهري الكبير الشيخ " إبراهيم الحبالى "– رحمه الله – فما كان من العلامة إقبال إلا أن قام بنشر رسالة شيخ الجامع الأزهر في صحيفة تصدر في مدينة لاهور تسمى : "إحسان"، ثم كتب رسالة إلى نائب رئيس جمعية حماية الإسلام ، جاء فيها قوله :" وصلتني رسالة من الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفي المراغي شيخ الجامع الأزهر الشريف بالقاهرة ، أشار فيها إلى مقدم وفد أزهري رسمي للدعوة إلى الإسلام بين الهندوس . وهذا الوفد يحتاج إلى بعض الشخصيات البارزة لترافقه في رحلاته ولترجمة خطبهم إلى الأردية . وفي اعتقادي أن تقوم جمعية حماية الإسلام بهذا الأمر ، وأرى أن نبادر باتخاذ الإجراءات كي نبلغ شيخ الجامع الأزهر ".

وحينما وصل وفد الأزهر الشريف مدينة لاهور عام ١٣٥٦ للهجرة الموافق ١٩٣٧ ، استقبله العلامة إقبال بكل حفاوة ، وراسل العلماء والأدباء والوزراء للترحيب بوفد الأزهر والاستفادة منه في إعداد المناهج الدراسية .

وعزم العلامة إقبال على إنشاء جامعة إسلامية كبيرة في إقليم بنجاب – بباكستان اليوم – على نمط جامعة الأزهر الشريف ، فأرسل في الخامس عشر من شهر أغسطس عام ١٩٣٧ ، رسالة إلى الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفي المراغي ، يرجوه فيها أن يبعث إليه مبعوثاً أزهرياً يجيد الإنجليزية – على نفقة الأزهر الشريف – ليعاونه في إنشاء هذه الجامعة .

ومما جاء في رسالة العلامة إقبال قوله :" إن الأزهر الشريف له أهمية عظيمة في العالم الإسلامي ، وهو مركز ديني علمي فريد ، ولذلك يسرع إليه كل من ظمئت روحه إلى الدين والعلم ، وهو المشار إليه عند كل أمر ديني علمي ".

واستمهله الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفي المراغي ، في رسالة بعث بها إليه ، إلى ما بعد عودة البعثة الأزهرية التي أرسلت إلى إنجلترا . غير أن المنية عاجلت العلامة إقبال بعدها بشهور .

هكذا كان العلامة محمد إقبال علي ذكر دائم للأزهر الشريف . إنه أراد أن يكون القدوة لكل المسلمين كي يتوجهوا نحو قبلة العربية والعلوم الإسلامية ، الأزهر الشريف .

مصر في شعر إقبال :

هذا وتجلى اهتمام " إقبال " بمصر فيما نظم من منظومات باللغتين الأردية والفارسية . وسيطلع القارئ الكريم على ما نظمه " إقبال " تحت عنوان : "أهرام مصر" ، "وإلى أهل مصر" ضمن ديوانه الأردي " ضرب الكليم " .

إقبال في فلسطين :

وقف العلامة الفيلسوف محمد إقبال – رحمة الله عليه– حياته للنهضة بأمته الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، ورأيناه يهتم اهتماما بالغا بقضايا العالم العربي على وجه الخصوص .

وفي طليعة اهتمامه هذا تأتى فلسطين العربية التي كان لها منزلة خاصة في قلبه . لقد داوم على ذكرها في مجالسه الأدبية ومحافله السياسية ، وكذلك دواوينه التي نظمها باللغتين الأردية والفارسية ، ورسائله الأدبية .

إن أقدم ما وصلنا من عظيم اهتمامه بفلسطين العربية ذلك المؤتمر العظيم الذي ترأسه في مدينة لاهور حاضرة إقليم بنجاب بجمهورية باكستان الإسلامية اليوم، وذلك في الثالث من ربيع الآخر عام ١٣٤٨ الموافق السابع من سبتمبر عام ١٩٢٩، وكان هدف هذا المؤتمر تقديم احتجاج على سياسة حكومة المستعمر الإنجليزي نحو قضية فلسطين العربية ورعايتها لليهود .

يقول العلامة إقبال في خطابه التاريخي الذي ألقاه بهذه المناسبة مبينا ما يجرى من أحداث جسام في فلسطين العربية ، وهي تتشابه مع ما يحدث اليوم في الضفة الغربية وقطاع غزة ، يقول :" إن المسلمين يُستشهدون في فلسطين ، وتُقتل نساؤهم وأطفالهم ، وتُسفك دماؤهم في القدس الشريف التي فيها المسجد الأقصى الذي أُسرى إليه الرسول المصطفي ﷺ ". (١٧)

---

(١٧) سمير عبد الحميد إبراهيم (دكتور) ، إقبال والعرب ، بحث مستخرج من مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، السعودية ، العدد الخامس ، المحرم ١٤١٢ / يوليو ١٩٩١ ، ص ٣٨٩ .

ثم أجاب على بطلان دعوى اليهود بامتلاك جزء من المسجد الأقصى ، يقول:" كان هيكل سليمان قد انهدم قبل دخول المسلمين القدس الشريف بقرون ، ولم يكن اليهود على معرفة بمكان ذلك الهيكل حتى أكتشفه المسلمون ، وبنوا في ذلك الموضع مسجداً كبيراً يسمى المسجد الأقصى ، وموضع المسجد الأقصى بكامله وقف لله تعالى في الشريعة الإسلامية ، ولا يجوز امتلاكه لأحد إطلاقاً ، فدعوى اليهود بامتلاك جزء من المسجد الأقصي باطلة وغير شرعية من الناحيتين القانونية والتاريخية ". (١٨)

وبعد هذا المؤتمر بعامين تقريباً تلقى العلامة إقبال دعوة رسمية للمشاركة في المؤتمر الإسلامي العام ، الذي يعقد في بيت المقدس ، وكان هدف هذا المؤتمر السعي إلى إنقاذ فلسطين العربية من الخطر الصهيوني.

ولبي العلامة إقبال الدعوة وقدم القدس الشريف بطريق مصر ، التي مكث فيها خمسة أيام ، ووصل القدس الشريف في صباح يوم الأحد السادس والعشرين من شهر رجب عام ١٣٥٠ الموافق السادس من شهر ديسمبر عام ١٩٣١ ، واستقبل استقبالا رسمياً وشعبياً ، وكان في مقدمة مستقبليه الشيخ السيد محمد أمين الحسيني ، المفتي الأكبر للقدس ورئيس المؤتمر . (١٩) وبقي العلامة إقبال في فلسطين العربية مدة عشرة أيام ، وبعدها سافر عائداً إلى موطنه الأم في يوم الأربعاء السادس من شعبان عام ١٣٥٠ الموافق السادس عشر من ديسمبر عام ١٩٣١ . (٢٠)

وفي المؤتمر الإسلامي العام الذي انعقدت جلسته الافتتاحية داخل المسجد الأقصى في ليلة الإسراء ، وفي الجلسة الأولي التي عقدت في

---

(١٨) سمير عبد الحميد إبراهيم (دكتور) ، إقبال والعرب ، ص ٣٨٩ .

(١٩) صحيفة الأهرام ، العدد رقم ١٦٨٨٤ ، السنة السابعة والخمسون ، الصادر في يوم الاثنين ٢٧ من رجب عام ١٣٥٠ الموافق السابع من ديسمبر عام ١٩٣١ ، ص ٥ .

(٢٠) صحيفة الأهرام ، العدد ١٦٨٨٥ ، السنة السابعة والخمسون، الصادر في يوم الثلاثاء ٢٨ من رجب عام ١٣٥٠ الموافق الثامن من ديسمبر عام ١٩٣١ ، ص ٥ .

صباح اليوم التالى أي يوم الإثنين ، انتخب العلامة إقبال وكيلا للرئاسة.(٢١)

وألقى خطبة عصماء مؤثرة قبل سفره ، وذلك في الجلسة الثالثة عشرة التي عقدت في مساء يوم الإثنين الرابع من شعبان الموافق الرابع عشر من ديسمبر ، وفيها ودع المؤتمر الإسلامي العام وقال :" لا أدرى إذا كان يسعدني الحظ بزيارة فلسطين مرة أخرى ". ثم أعرب عن أمله بمستقبل المسلمين وهو الأمل الذي عززه الروح الطاهر الذي ساد المؤتمر . ثم حث على نشر هذا الروح في الجمعيات الإسلامية ، وعلى العناية بالجيل الجديد . وقال :" إن الإسلام مهدد بشري الإلحاد والوطنية العنصرية ، وإن علي المؤتمر تبعات كثيرة ". ثم قال :" إن مستقبل الإسلام يتوقف علي وحدة العرب ، فإذا تمت وحدة العرب علا شأن الإسلام" . ثم حث علي مكافحة القوى الداخلية والخارجية التي تعمل علي تمزيق الوحدة الإسلامية ، وشكر المؤتمر لتفضله بانتخابه وكيلاً للرئاسة، وقال :" إنني أضع نفسي تحت تصرف المؤتمر ورهن إشارته ، أينما كان وحيثما حل ". (٢٢) ثم تكلم الزعيم السوري رياض بك الصلح ، وشكر العلامة إقبال عطفة علي القضية العربية باسم شباب سوريا والعرب ، ووجه كلامه إلى العلامة إقبال ورجا منه أن يحمل تحيات العرب إلى المسلمين في شبه القارة الهندية . ثم خطب الشريف عبد الله ، أمير شرق الأردن فحيا العلامة "إقبال". وتلاه السيد محمد رشيد رضا المصري صاحب مجلة المنار ، فعدد خدمات "إقبال " وحياه بكلمة وداع طيبة . ثم أوقفت الجلسة مدة عشر دقائق ليتمكن أعضاء المؤتمر من توديع العلامة " إقبال" . (٢٣)

---

(٢١) صحيفة الأهرام ، العدد ١٦٨٨٥ ، ص ٥ .

(٢٢) صحيفة الأهرام ، العدد ١٦٨٩٢ ، السنة السابعة والخمسون، الصادر في يوم الثلاثاء الخامس من شعبان عام ١٣٥٠ الموافق الخامس عشر من ديسمبر عام ١٩٣١ ، ص ٥ .

(٢٣) صحيفة الأهرام ، العدد ١٦٨٩٢ ، ص ٥ .

وفي هذا دليل علي عظيم شأن وشهرة العلامة " إقبال " ، واعتراف كل كبار معاصريه من الساسة والعلماء والأدباء ورجال القانون والفلسفة وغيرهم في العالم الإسلامي الكبير بمنزلته الفريدة .

وأثناء مقام العلامة " إقبال " في القدس الشريف تحركت شاعريته، فنظم عديدا من الأبيات المؤثرة تعبر عن موقفه المعلن . كما رأيناه يلقى بعض أبيات له في حفل دار الأيتام ، وهي تتعلق بالأندلس .

ولم تنقطع صلات العلامة " إقبال " بفلسطين بعد عودته وحتى آخر حياته . بل ظل يناصر قضية فلسطين العربية ، ففي خطاب ألقاه في مؤتمر الرابطة الإسلامية المنعقد في شهر ربيع الآخر عام ١٣٥٦ للهجرة الموافق شهر يوليو عام ١٩٣٧ للميلاد ، أعلن تأييده لعرب فلسطين وحذرهم من المخطط الاستعماري الغربي والصهيوني ، الذي يهدف إلى إجلاء العرب عن فلسطين لتقوم دولة لليهود فيها .

وفي ديوانه ضرب الكليم الذي نظمه باللغة الأردية ، وهو آخر ما نشره العلامة " إقبال "، نظم منظومة تحت عنوان : الشام وفلسطين ، وأخرى في موضوع : من فلسطيني للعرب ، ففي الأولى رأيناه يقول ، وهو ما صار فيما بعد القول المأثور : " إذا قال اليهود إن لنا الحق في أرض فلسطين ، فمن باب أولي أن يقول العرب : إن لنا الحق في أرض أسبانيا ".

كان " إقبال " علي دراية تامة بتسلط إليهود علي أوربا وأمريكا فالحكم الحقيقي لهم في تلك البلاد ، فهو ينظر إلى الحوادث نظرة عارف خبير . وقد تجلى هذا في منظومة له بعنوان : أوربا واليهود .

ويقول العلامة " إقبال " في رسالته إلى القائد الأعظم " محمد على جناح ":" إن لمشكلة فلسطين الأثر العميق في نفوس المسلمين ، وإنني شخصياً لمستعد أن أذهب إلى السجن لأمر له تأثير على الإسلام ، فإن وجود مركز غربي علي بوابة الشرق خطير للغاية ". (٢٤)

ويقول العلامة " إقبال " في رسالته إلى العرب :" من الواجب أن يتنبه العرب ، بأنهم لا يستطيعون الاعتماد على من لا يملك الكفاءة

---

(٢٤) إقبال ، رسائل إقبال باسم جناح (بالأردية) ، ترجمة وترتيب : محمد جهانجير عالم ، الطبعة الأولى ، لاهور ، باكستان ، ص ٤٢.

والقدرة للوصول إلى رأي حـــول قضية فلسطين بحرية فكر واستقلال ضمير ، فكل ما يقرره العرب ، لابد أن يقرروه معتمدين على أنفسهم ، بعد دراسة كاملة للمشكلة التي يواجهونها ". (٢٥)

هذه رسالة إقبال إلى أمتنا العربية ، وهذا موقفه وموقف دولتـــه جمهورية باكستان الإسلامية .

إقبـــــال والوحـــدة الإســـــلامية :

في التاسع من شهر نوفمبر عام ١٨٧٧ ، ولد العلامة إقبال الذي يعد في طليعة صفوة أعلام الأمة الإسلامية ، من المفكـــرين والفلاســـفة والمصلحين والدعاة والأدباء والعلماء والساسة ، وتـــوفي فـــي الحـــادي والعشرين من شهر إبريل عام ١٩٣٨. وبين هذين التاريخين حياة حافلة بالعطاء الفياض في خدمة دينه وأمته الإســـلامية فـــي مشـــارق الأرض ومغاربها ، إنه سخر قلمه وفكره ودعوته بهدف إيقاظ الأمة الإسلامية من سباتها العميق ، فدعا إلى إنهاء عصر الاستعمار الغاشـــم وقيـــام وحـــدة إسلامية كبرى، ترتكز على ما أوجبه الشرع الحنيف .

إن أهم ما يميز فكر إقبال دعوته إلى الوحدة الإسلامية ، ومـــن أجل تحقيق هدفه زار العديد من الدول الإسلامية وفي طليعتهـــا مصـــر وفلسطين وإيران وأفغانستان، ووقف علـــى أحوالهـــا وعـــرض فكـــره المستنير، الذي لاقى الترحيب كله من المفكرين ورجالات الدين خاصـــة في أزهر مصر ، حيث وجدنا الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق الشـــيخ الأحمدي إبراهيم الظواهري – رحمه الله – يستقبله بكل ترحاب – أثنـــاء سفرته وزيارته لكليات الجامع الأزهر الشريف عام ١٩٣١، كما امتدحه شعراء مصر بقصائد طوال بمناسبة مقدمه إلى مصر ، نذكر منها قصيدة شاعر الأهرام " محمد عبد الغني حسن " ، ومما جاء فيها قوله : (٢٦)

---

(٢٥) Thoughts And Reflection of Iqbal .P. ٣٧١

نقلا عن : سمير عبد الحميد إبراهيم (دكتور) ، إقبال والعرب ، ص ٣٩٣ .

(٢٦) للتفصيل انظر : حازم محفوظ ، العلامة محمد إقبال في مصر الأزهـــر ، ص ٣١٠ ، ٣١١.

إلـــى الـــدكـــتور"إقبـــــــال " تحيـــاتـــــي وإجـــلالـــي
إلى من بات فـــــي فكـــري إلى من صار في بـــــالي
إلـــى مـــن حاله فـــي حبـــــ ـــــه أوطـــانـــه حـــالي
إلى مـــــن كنت ألـــقـــاه علـــى بعـــد وإقـــلال

وظل " إقبال " طيلة حياته الحافلة يدعو إلى وحدة كبرى تعيد مجد الحضارة الإسلامية ، وتنبأ بعودة مجدها ، لأنها حضـــارة قائمـــة علـــى روحانية الشرق التي يهدي إليها الدين القويم .

إقبـــال وحضـــارة الغـــرب :

أثناء قيامي بترجمة الكتاب الذي بين يدينا ، والتي استغرقت نحو عام ، وقفت علي موقف العلامة إقبال من حضارة الغرب فـــي عمـــوم وشمول ، إنه لم يترك كبيرة ولا صغيرة في حضارتهم إلا وكشف النقاب عن زيف حقيقتها ، مثلما فعل مع الحضارة الهندوسية ، كما قارن بينهـــا وبين الحضارة الإسلامية الخالدة في أسلوب فلسفي سام .

لقد تطرق في شعره الأردى لما يسمونه بمعالم الحضارة الغربية، فتحدث عن القومية والنظام الجمهوري والاشتراكية والرأسمالية والسياسة الغربية اللادينية ، كما تحدث عن الأمم المتحـــدة والاســـتعمار الغربـــي والمجتمع الغربي ووضع الرجل وحرية المرأة ومناهج التعليم والفلســـفة الغربية والبنوك والموسيقى والسينما وغيرها.

إن العلامة محمد إقبال المصلح الإسلامي الحق – الذي تحصـــن بالحضارة الإسلامية الخالدة – وقف من حضارة الغرب موقفاً مرموقاً ، ارتكز فيه على كتاب الله المبين وسنة رسوله الكريم . فبين أول ما بـــين أن أهل الغرب في عصر الاستعمار سعوا لفرض حضارتهم على العـــالم الإسلامي . ومما جدوا في نشره ما يُسمى بالقومية. وكان للعلامة إقبال – وما يزال – موقفاً من هذه المسألة التي روج لها الغرب في الدول المسلمة التي استعمروها . إنه أعلن أن القومية التي ينادي ويروج لهـــا الغـــرب تتعارض مع القومية الإسلامية ، كما وجه النصح للذين فتنوا بهذه الدعوة،

ودعاهم إلى الالتفات حول فكـــره القائم على القومية الإسلامية التـــي تضم كل المسلمين من عرب وعجم في دولة إسلامية قوية لها البقاء .

ثم تطرق إلى المجتمع الغربي وتوقف عند وضع المرأة الغربية ، وبين ما آلت إليه وما وقع عليها من ظلم . ورأيناه يندد بالدعوة إلى مـــا يسمى بحرية المرأة. وأشار إلى أن أهل الحضارة الغربية هيَّئوا جيلا من الشباب في العالم الإسلامي – أو كما أطلق عليهم العلامة إقبال ، أبنـــاء الحضارة الغربية – تبنى هذا الجيل مزاعم الدعوة إلى تحرير المرأة أو ما يسمى اليوم بالمساواة . ونبه المرأة المسلمة إلى اليقظة حتى لا تقع فـــي شباك أبناء حضارة الغرب ، فتخلع حجاب العفة وتختلط بالرجال . وعلى الرغم من أن العلامة إقبال لم يُطل في هذه القضية ، غير أن إشاراته في غنى عن عبارات وعبارات . إن رأي العلامة إقبال في هذه القضـــية لا يعنى أنه ضد المرأة ، بل أراد لها أن تحيا في عفة وكرامة.

وإذا انتقلنا بالحديث إلى مستقبل حضارة الغرب ، رأينا العلامة إقبال يتنبأ بأنها إلى زوال ، لأنها حضـــارة قائمـــة علـــى مـــا يُفنـــى الحضارات .

وحز في نفس إقبال ما شاهده من تهافت شعوب الشرق المســـلمة على تقليد الغرب وحضارتهم .

لقد كشف النقاب عن زيف حضارة الغرب فـــي جـــرأة عديمـــة النظير ، فلم يخش في الله لومة لائم ، وهذا ما يدعونا إليه ، إلى الأخذ به وجعله منهج حياة .

إن فكر إقبال في حضارة الغرب يمثل لنا منجاً مستنيراً ، يقوم في أساسه على معرفة حقيقة هؤلاء ، وكشف حقيقة حضارتهم ، وما يجب أن يتخذ للحفاظ على هويتنا الإسلامية ، ووجودنا كأمة ارتضى رب العزة أن تكون خير أمة أخرجت للناس .

المرأة في الشرق والغرب من خلال فكر إقبال :

لا نعرف من بين أعلام الفكر والأدب الإسلامي في أمتنا ، مـــن أولى قضايا المرأة اهتماما كبيرا مثلما فعل المفكر والأديـــب الإســـلامي الكبير العلامة إقبال . إن المطلع على آثاره الأدبية ـــ من دواوين ورسائل ومحاضرات وحوارات ومقالات صحفية وغيرهـــا ـــ باللغـــة الأرديـــة

الإسلامية ، يتيقن من أنه كتب مـا كتب ونظم ما نظم، بعـد دراسـة متأنية مستوعبة للمنزلة السامية للمرأة في الإسلام ــ تلك المنزلة التي لم تبلغها أو نالتها في أي دين سماوي أو مذهب غير الدين الحنيف ــ وبعد أن درس دراسة مستفيضة حال المرأة في الشرق الإسلامي ووقف علـى ما آلت إليه في الغرب ــ خاصة في أوربا التي أقام فيها سنوات وسنوات ــ إنه استقى فكره المعتدل في هذه القضية الهامة من الشرع الحنيـف ، وأبدى تعاطفه مع آمال وطموحات المرأة في المجتمع الإسلامي ، وأظهر تأييده لمطالبها التي لا تتعارض والدين القويم ، بل سعى في جد بهـدف بلوغ المرأة حقوقها . ولسنا مبالغين إذا قلنا إنه كان متحدثا باسم المـرأة المسلمة في كل زمان ومكان ، مترجما لآمالها المستقبلية ، متطلعا لغـد أفضل في ظل مجتمع يرتضى الشرع الحنيف ولم نصادف عند غيره من أعلام عصره ممن درسوا في أوربا ــ إلا فيما ندر ــ موقفا مشرفا مؤيدا لقضاياها ، كما نراه عند العلامة إقبال، المتحصن بحضارة الإسلام .

إن المتصفح لآثار إقبال الأدبية الأردية ، يتجلى له أن المرأة من أهم الموضوعات التي نالت جانبا واهتماما كبيرا في فكره ، ويراه وقـد تطرق إلى كل قضاياها الهامة ، والتي ماتزال تشغل عقل المـرأة حتـى يومنا الحاضر . إنه تحدث في قضايا : التعليم والعمل وحريـة المـرأة والمساواة والحجاب والأمومة والزواج والميراث، وغيرها من المسـائل الهامة في نظام المجتمع والأسرة في الإسلام .

ففي كتابه القيم " تجديد التفكير الديني في الإسلام " تطـرق فـي حديثه عن الأسرة ، للرد على شاعر تركي ممن تأثروا بحضارة الغرب ، فنادى بالمساواة بين الرجل والمـرأة ، خاصـة فـي مسـائل الطـلاق والمواريث . يقول إقبال : (٢٧) " إني أخشى أن يبدو قليل العلم بقـانون الأسرة في الإسلام ، كما يظهر أنه لا يفهم المعنى الاقتصـادي لقاعـدة التوريث ، كما جاءت في القرآن . فالزواج في اعتبار الشريعة الإسلامية عقد مدني ، وللمرأة أن تشترط عند الزواج أن تكون العصـمة بيـدها ،

---

(٢٧) محمد إقبال ، تجديد التفكير الديني في الإسلام ، ترجمه إلى العربيـة : عبـاس محمود ، ط ٢ دار الهداية للطباعة والنشـر والتوزيـع ، القـاهرة ، ١٤٢١ / ٢٠٠٠ ، ص ١٩٩ : ٢٠١ .

فتكتمل لها بهذا حق المساواة في الطلاق . والإصلاح الذي يقترحه الشاعر لنظام التوريث يقوم على فهم خاطئ . وينبغي ألا يستنتج من اختلاف الأنصبة الشرعية، أن القاعدة تفترض تفوق الرجل على المرأة ، فمثل هذا الافتراض يكون منافيا لروح الإسلام ، إذ يقول القرآن : (ولهن مثل الذي عليهن) (٢٨)... والذي يعين نصيب الابنة ليس أي نقص فيها ، وإنما يتعين تبعا لما لها من فرص اقتصادية ، ومن مكان في بناء مجتمع هي جزء لا يتجزأ فيه ... والبنت على حسب الشريعة تعتبر مالكة ملكا حرا لما تعطاه عند عقد الزواج من أبيها أو زوجها على سواء ... إن عبء الإنفاق على معيشتها في حياتها كلها يقع على كاهل زوجها ".

وفي ديوانه " ضرب الكليم " يتوجه بالنصح إلى المرأة المسلمة ، داعيا إياها إلى معرفة حقوقها في الإسلام . كما ينبهها إلى اليقظة كي لا تقع في شباك الدعوات التي أخذ يرددها بعض أبناء الشرق متأثرين بمقولات لأدباء وفلاسفة من الغرب ، فتفتن بدعوات التحرير والمساواة وما ينتج عنها من سفور واختلاط بالرجال ومشاركتهم في كل أعمالهم ، مما يشاع في مجتمع الغرب .

ونجد العلامة إقبال راغبا أن تتوجه المرأة لنيل كل جديد مفيد من حضارة الغرب ، مما لا يتعارض والشرع الحنيف . وفي نفس الوقت يذكرها بما آلت إليه المرأة في الغرب ، كي لا تنساق وراء دعوات باطلة.

ويذكر " إقبال " ، المرأة برسالتها الأولى ويشيد بها ، حيث يدعوها إلى الإقبال على الزواج وإنجاب وتربية جيل جديد يمتاز بمقدرته على حمل الأمانة ويرى هذا أهم رسالة للمرأة في المجتمع الإسلامي ، وما أعظمها من رسالة . إنه يدعوها على الدوام إلى الإطلاع على حقيقة رسالتها في ضوء التعاليم الإسلامية . كما يوصى الرجال بمعرفة منزلة المرأة السامية ، وأن عليهم فرض حمايتها وأداء حقوقها . وفي نفس الوقت يضع أمام المرأة في الشرق ، ما آلت إليه المرأة في الغرب . إنها تخلت عن رسالتها الأساسية ، فلم تقبل على الزواج وإنجاب الأطفال ـــ

---

(٢٨) سورة البقرة ، آية رقم (٢٢٨) .

فـــي الأغلـــب ــ وانســـاقت وراء دعوات هدامة ، نتج عنها فساد حل في مجتمع الغرب

لقد أراد " إقبال " للمرأة الغربية أن تحيا في عفة وكرامة ، لأنها في فطرتها كذلك . إنه يرى أن ما آلت إليه في مجتمع الغرب ، يعود إلى الرجل عندهم ، الذي لم يقدر المرأة فيعرف منزلتها السامية . إنها ليست سلعة تباع وتشترى من أجل متعة زائلة .

ويؤكد " إقبال " منزلة المرأة السامية في فكره ، بتخصيص قسم بأكمله في ديوانه " ضرب الكليم " جعل عنوانه " المرأة " ، وفيـــه ســـما بمنزلتها فوق نجم الثُـــريا ، وأكد على أن كل الجمال في الكون بســـبب منها ، بل الحياة كلها تنبض من نغمتها .

ثم نراه يشير إلى المرأة في حياته الخاصة ، ويبين أن لها أثـــرا كبيرا في فلسفته ومؤلفاته ومكانته التي بلغها عن جدارة .

ويرد الفضل الأول إلى أمه التي شجعته على الانكباب في طلـــب العلم والاستزادة منه ، ويتجلى هذا في قصيدته : " ذكرى الأم " ضـــمن ديوانه الأردى "رنين الجرس ".

وحينما شارك " إقبال " في مؤتمر المائدة المستديرة ، الذي انعقد في لندن عام ١٩٣١ ، لبحث مستقبل شـــبه القـــارة الهنديـــة بعـــد زوال الاحتلال الإنجليزي ، انتهز هذه الفرصة وكتب مقالة بالإنجليزية عنوانها " النساء " ، نشرت في العديد من الصحف اللندنية ، وفيها أشار إلى مكانة المرأة ومفهوم الشرق والغرب في قضايا الحرية والمساواة ، كما تحـــدث عن الحجاب واصفا إياه بأنه علامة الوقار والاحترام، وليس فيه ما يقلـــل من شخصية المرأة ومكانتها أو يعوق عملها . كمـــا أشـــار إلـــى تعـــدد الزوجات في المجتمع الإسلامي وحكمتـــه ، ورد علـــى مـــن ينكـــرون ويخالفون ذلك في الغرب . (٢٩)

هذا ولفت فكر " إقبال " المستنير في قضايا المرأة فـــي الشـــرق والغرب ، بعض أدبيات الغرب من أساتذة الجامعات ، فتأثرن به وأقدمن

---

(٢٩) للتفصيل انظر : محمد إقبال ، طبقة النساء ، مقال مستخرج من مجلـــة مهكـــ (بالأردية) في عددها الخاص الصادر بمناسبة مرور مائة عام على ميلاد إقبال، ص ٧ : ٩ .

على نقل بعض تراثه المنثور والمنظوم ، إلى لغات أوربية ، ومن هؤلاء نذكر المستشرقة البروفيسور آنا مارى شيميل Annemarie Schimmelالتي نقلت ديوان "جاويد نامه" إلى الألمانية، وصدرت هذه الترجمة في ميونيخ عام ١٩٥٦ . (٣٠) والمستشرقة الدكتورة ايفا مايروفيتش Eva Meyerovitch التي نقلت إلى الفرنسية رسالة الدكتوراه التي تقدم بها " إقبال " إلى جامعة ميونيخ بألمانيا عام ١٩٠٥ . وهذه الترجمة هي التي اعتمد عليها الدكتور حسين مجيب المصري في نقل الرسالة المذكورة إلى العربية ، وصدرت تحت عنوان : "ما وراء الطبيعة في إيران ". (٣١)

ثم نقلت ديوان جاويد نامه إلى الفرنسية ، ونشرت ترجمتها في باريس عام ١٩٦٢ . (٣٢) واعتنقت الإسلام بعد ترجمة هذا الديوان .(٣٣)

ومما يجدر ذكره أن العلامة إقبال أتى بنماذج مشرفة للمرأة المسلمة في عصره ، داعيا إلى الاقتداء بهن في كل أعمالهن . وفي طليعة هؤلاء تأتى السيدة "فاطمة بنت عبد الله "ــ من عرب ليبيا ــ التي أبت إلا أن تشارك في صفوف الأحرار من المجاهدين في حربهم ضد المستعمر الإيطإلى ، وسقطت شهيدة في ميدان الجهاد ، وهى تحمل الماء

---

(٣٠) محمد السعيد جمال الدين (دكتور) ، رسالة الخلود أو جاويد نامه للشاعر والمفكر الإسلامي الكبير محمد إقبال ، ط ١ ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ١٩

(٣١) حديث عبر الهاتف مع أستاذنا الدكتور حسين مجيب المصري ، في مساء يوم الاثنين ٢٦ من شوال عام ١٤٢٣ الموافق ٣٠ من ديسمبر عام ٢٠٠٢ .
وللتفصيل راجع : حسين مجيب المصري (دكتور) ، ما وراء الطبيعة في إيران لشاعر باكستان الأكبر محمد إقبال ، ط ١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٤٧ .

(٣٢) محمد السعيد جمال الدين (دكتور) ، رسالة الخلود أو جاويد نامه للشاعر والمفكر الإسلامي الكبير محمد إقبال ، ص ١٩ .

(٣٣) حازم محمد أحمد محفوظ (دكتور) ، محمد إقبال المصلح الفيلسوف الشاعر الإسلامي الكبير ، ط ١ ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤١٩ / ١٩٩٩ ، ص ٥٨ .

إلىهم ساقية . " فهذه المـــرأة فـــي فكر إقبال امرأة عظيمة لا ريب ، وعظمتها في تقواها التي بعثتها على جهادها واستشهادها . " (٣٤)

وإذا التفتنا في عجالة إلى شعر إقبال الفارسي ، نراه يوصى الفتاة المسلمة بأن تحتذي بنماذج من عهد النبوة أمثال السيدة فاطمة الزهـــراء والسيدة فاطمة بنت الخطاب . (٣٥) كما يضع نصب عينيها حياة الأميرة الهندية المسلمة " شرف النساء " التي تعلقت بالقرآن الكريم أشد تعلـــق ، وأوصت بأن يوضع معها في قبرها، مصحفها وسيفها ". (٣٦)

هذا وتأثرت أديبات الشرق بفكر إقبال في المرأة، فنجـــد عطيـــة فيضي الهندية – المعاصرة لإقبال – تقول :" حينما نعقد الموازنـــة بـــين العلامة إقبال وغيره من الكتاب ، نجده يمتاز عـــنهم بشخصـــية أدبيـــة إسلامية نادرة . إنه استقى فكره المعتدل في كتاباته ، من تعاليم القـــرآن الكريم ". (٣٧)

وحينما توفي " إقبال " رثته أديبة الأردية السيدة " بشير النساء " ، مؤرخة لعام رحيله بقولها : " لا مجد للأمة بدون إقبال " . (٣٨)

ولعل خير ما نختتم به الحديث هنا عن فكر إقبال في المـــرأة ، الإشارة إلى أننا لم نجد "لإقبال" منظومات أو أبيات تغزل فيها على الكيفية التي تشاهد عند الغالبية العظمى من الشعراء ، تلك الصورة التي لا تسمو بإنسانية المرأة ، بل سخر منظوماته وأقواله وكتاباته النثرية في المـــرأة

---

(٣٤) حسين مجيب المصري (دكتور) ، المرأة في شعر إقبال ، بحث مستخرج من مجلة إقباليات العربية ، في عددها الأول الصادر في أكاديمية إقبال الباكستانية ، عام ١٩٩٢م ، لاهور، ص ٩٣ .

(٣٥) حسين مجيب المصري (دكتور) ، إقبال والعـــالم العربـــي ، ط ١ ، مكتبـــة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٧٦ م ، ص ٢٦ .

(٣٦) للتفصيل انظر : حسين مجيب المصري (دكتور) ، المرأة في شـــعر إقبـــال ، ص ٩٤ : ٩٦ .

حسين مجيب المصري (دكتور) ، فـــي الســـماء ، ط ١ ، مكتبـــة الأنجلـــو المصرية ، القاهرة، ١٩٧٣ ، ص ٢٤٢ : ٢٤٤ .

محمد السعيد جمال الدين (دكتور) ، رسالة الخلود أو جاويـــد نامـــه للشـــاعر والمفكر الإسلامي الكبير محمد إقبال ، ص ٢٦٨ : ٢٧٠ .

(٣٧) مجلة مهكـــ (بالأردية) ، ص ٤٠٤ .

(٣٨) مجلة مهكـــ (بالأردية) ، ص ٣١٢ .

لبعثها ونهضتها من جديد . وصدق أستاذنا العلامة الدكتور " حسين مجيب المصري " حين أنشد قائلا : (٣٩)

فصيح أنت يا لك من فصيح ... لذاك اخترت فن القول شعرا

ولا ما قلت في وجه مليح ... ولا داعبت مثل المسك شعرا

سئمت حديث هجر أو تلاق ... وما أرويت للمحبوب ثغرا

كرهت شكاة وجد واشتياق ... وأخمدت الصبابة فيك جمرا

رضيت الشعر لكن في نطاق ... به حققت للإنسان خيرا

إن إقبالاً كان ــ وما يزال ــ مترجما لحضارة الإسلام الخالدة ، فيما يتعلق بالقضايا المعاصرة ، وفي طليعتها قضايا المرأة . ولسنا مبالغين في قولنا : " إنه شاعر الإسلام الذي تغنى بحضارته الخالدة " .

إقبال والقائد الأعظم وباكستان

جمعت بين العلامة إقبال والقائد الأعظم محمد على جناح ، علاقات وثقى بنيت على أساس من الدين الحنيف ووحدة الهدف ، فكل منهما قاد مسيرة نضال أهل لا إله إلا الله في شبه القارة الهندية ضد أعداء الدين من الهندوس والإنجليز . (٤٠)

لقد رأى العلامة إقبال في القائد الأعظم محمد على جناح رمز طموح كل المسلمين في شبه القارة الهندية ، والقائد الأوحد الذي يستطيع أن يقودهم لتحقيق هدفهم المنشود ، وهو تشييد وطن خاص للمسلمين كي يتمكنوا من إقامة شعائر دينهم الحنيف في حرية تامة . (٤١)

---

(٣٩) حسين مجيب المصري (دكتور) ، شوق وذكرى ، ط ١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٤٠) للتفصيل انظر : أحمد سعيد ، إقبال والقائد الأعظم (بالأردية)، ط٢ ، أكاديمية إقبال الباكستانية ، لاهور ، ١٩٨٩ ، ص ٥٣ : ٦١ .

(٤١) للتفصيل انظر : راجا رشيد محمود ، إقبال والقائد الأعظم وباكستان (بالأردية)، ط١ ، لاهور ، ١٩٨٧ ، ص ١١٣ : ١٢٢ .

يقول العلامة إقبال في رسالة باسم القائد الأعظم محمد على جناح مؤرخة في الحادي والعشرين من شهر يونيو عام ١٩٣٧ (٤٢) :" إنني على يقين تام من أن محمد على جناح ، سيقود الأمة المسلمة في شبه القارة الهندية لتحقق هدفها المنشود وهو قيام باكستان ". ثم أوصى وجوه القوم وأصحاب الفكر من المسلمين بأن يلتفوا حوله ويسيروا في خطاه مؤازرين مؤيدين .

ففي رسائل إقبال باسم القائد الأعظم محمد على جناح – وتبلغ خمس عشرة رسالة – بدأها في الثالث والعشرين من شهر مايو عام ١٩٣٦ وحتى العاشر من شهر نوفمبر عام ١٩٣٧ (٤٣) – عبر عن عظيم تقديره للقائد الأعظم محمد على جناح وحفزه لمواصلة النضال من أجل باكستان ودحر مزاعم قادة الهندوس والإنجليز . يقول إقبال في رسالة كتبها في الثامن والعشرين من شهر مايو عام ١٩٣٧:" إن مظالم الهندوس تزداد ضد كل المسلمين ، وإن جواهر لال نهرو من الملحدين الشيوعيين، ولو لم تحل مشكلة كل المسلمين في شبه القارة الهندية لصار حالنا كحال شعبنا المناضل في فلسطين" . (٤٤)

وفي رسالة أخرى مؤرخة في الحادي والعشرين من شهر يونيو عام ١٩٣٧ يقول : " قال غاندي – رئيس حزب المؤتمر الهندي – لا يمكن أن يكون للمسلمين وجود على الساحة السياسية في شبه القارة الهندية ... لذا أرى أنه لا يمكن أن يكون في شبه القارة الهندية اتحاد بين

---

(٤٢) رسائل إقبال باسم جناح (بالأردية) ، ترجمه وترتيب : محمد جهانجير عالم ، لاهور ، ١٩٩٤ ، ص ٥٢ .

(٤٣) قام الأديب غلام رسول خان نيابة عن العلامة محمد إقبال بكتابة ثلاث رسائل أخرى باسم القائد الأعظم محمد على جناح ، مؤرخه في ٨ من نوفمبر من عام ١٩٣٧ و١٧ من فبراير من عام ١٩٣٨ و ٧ من مارس عام ١٩٣٨ .
للتفصيل انظر : رسائل إقبال باسم جناح (بالأردية) ، ترجمة وترتيب : محمد جهانجير عالم، ص ٦٧ : ٧٧ .

(٤٤) للتفصيل انظر : رسائل إقبال باسم جناح (بالأردية) ، ترجمة وترتيب : محمد جهانجير عالم، ص ٤٨: ٥١

المسلمين والهندوس في دولة واحدة ، ومن ثم فإن تقسيم شبه القارة الهندية هو الحل الأوحد" . (٤٥)

ورغب العلامة إقبال نشر رسائله التي كتبها باسم القائد الأعظم محمد على جناح ، في جميع الصحف غير أنه تريث ، وعن سبب هذا يقول إقبال في رسالة إلى القائد الأعظم محمد على جناح مؤرخة في الثامن والعشرين من شهر مايو عام ١٩٣٧: " إنني أرغب في نشر رسائلي التي أكتبها إليكم في كل الصحف ، كي يطلع العالم أجمع على ما يوقعه الهندوس من مظالم شداد بالمسلمين ، غير أنني أرى أن الوقت غير مناسب ، لأنني أخشى أن يؤثر هذا العمل على مسيرة قيام باكستان".(٤٦)

ومن المعلوم أن إقبالاً في طليعة من قرروا قيام دولة باكستان ، فحدد معالمها ووضع اسمها . لقد أعلن عن رأيه بعدما ظهر للمسلمين أن الهندوس يريدون بأكثريتهم أن يسحقوا المسلمين ، وأن يمحوا كل أثر لشخصيتهم وكيانهم . (٤٧)

فكان العلامة إقبال على علم بما يدور بأذهان الهندوس ، وبما يجول في نفوسهم ، ورأى أن المسلمين والهندوس لا يمكن أن يسيروا في قافلة واحدة ، وأن المشكلة لن تحل إلا بتقسيم شبه القارة الهندية ، نظراً للاختلافات البينة بين المسلمين والهندوس ... فقام في المؤتمر السنوي للرابطة الإسلامية . (٤٨) في ديسمبر من عام ١٩٣٠ بمدينة آله آباد –

---

(٤٥) رسائل إقبال باسم جناح (بالأردية) ، ترجمة وترتيب : محمد جهانجير عالم ، ص ٥٢ ، ٥٣.

(٤٦) رسائل إقبال باسم جناح (بالأردية) ، ترجة وترتيب : محمد جهانجير عالم ، ص ٥١ .

(٤٧) محمد حسن الأعظمي ، حقائق عن باكستان ، ط١ ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ طبع ، ص ٣٣ .

(٤٨) تكون حزب الرابطة الإسلامية في عام ١٩٠٦ .
للتفصيل انظر : عبد الحميد خان سالك ، مرآة حكومة الهند (بالأردية) ، ط٢، لاهور ، ١٩٣٨ ، ص ٥١ .
عشرت رحمانى ، من سر سيد إلى القائد الأعظم (بالأردية) ، ط٢ ، لاهور ١٩٧٤ ، ص ٢٤.

وهو المؤتمر الذي ترأسه العلامة إقبال – وخطب خطبة عصماء(٤٩) أعلن فيها عن وجوب قيام وطن خاص للمسلمين في شبه القارة الهندية ، وذلك في الولايات التي يسكنها أغلبية من المسلمين ، وهي السند والبنجاب وبلوجستان وإقليم الحدود وكشمير والبنغال . (٥٠)

وظل العلامة إقبال يواصل الجهاد من أجل إقامة باكستان ، إلى أن رحل عن عالمنا في الحادي والعشرين من شهر إبريل عام ١٩٣٨ ، فنعاه القائد الأعظم محمد على جناح بقوله :" كان محمد إقبال صديقاً ومرشداً وفيلسوفاً لي ، وفي أصعب المراحل التي مرت بالرابطة الإسلامية لم يتزلزل ، بل كان قوى الإيمان ثابتاً كالجبل ، وإن ما بذله من أجل أمته المسلمة ووطنه ، يجعله في طليعة أكابر عظماء شبه القارة الهندية . وكان شاعراً لا يدانيه أحد ، ولو حييت حتى رأيت للمسلمين دولة في شبه القارة الهندية ، فخيرت بين الرئاسة في الدولة المسلمة وبين مؤلفات العلامة محمد إقبال لم أتردد قط في اختيار الثانية . وإن وفاته لخسارة عظيمة لشبه القارة الهندية عامة وللمسلمين خاصة ". (٥١)

وبعد مرور عشر سنوات على إعلان العلامة إقبال لرأيه الخاص بإقامة وطن مستقل للمسلمين ، وفي الثلاثين من شهر مارس عام ١٩٤٠ ، تبنت الرابطة الإسلامية رأي العلامة إقبال ، وذلك في المؤتمر التاريخي الذي عقدته في مدينة لاهور ، فصدر قرار لاهور التاريخي الذي نادى بوجوب قيام وطن خاص للمسلمين في شبه القارة الهندية .(٥٢)

---

(٤٩) محمد حسن الأعظمى ، حقائق عن باكستان ، ص ٣٧ ، ٣٨.

(٥٠) للتفصيل انظر : عبد الحميد (دكتور) ، إقبال بحيثيت مفكر باكستان(بالأردية) ، ط٢ ، أكاديمية إقبال الباكستانية ، لاهور ، ١٩٨٨ ، ص ١٣٥ : ١٥٤ .
آغا اشرف ، إقبال وباكستان (بالأردية) ، ط١ ، لاهور ، ١٩٨٨ ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

(٥١) حازم محفوظ (دكتور) ، العلامة محمد إقبال في مصر الأزهر ، ص ١١ .
وللتفصيل انظر : أحمد سعيد ، اقبال والقائد الأعظم (بالأردية) ، ط٢ ، أكاديمية إقبال الباكستانية ، لاهور ، ١٩٨٩ ، ص ٦١ ، ٦٢ .

(٥٢) إحسان حقي (دكتور) ، باكستان ماضيها وحاضرها . ، ط١ ، دار النفائس ، بيروت، ١٣٩٣ / ١٩٧٣ ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ .
راجا رشيد محمود ، إقبال والقائد الأعظم وباكستان (بالأردية) ، ط١ ، لاهور ، ١٩٨٧، ص ١٠٧ .

وأخذ القائد الأعظم محمد على جناح على عاتقه الجهاد من أجل قيام باكستان ، وبعد سبع سنوات من الجهاد المتواصل ضد الهندوس والإنجليز ، أعلن في الرابع عشر من شهر أغسطس عام ١٩٤٧ ، مولد جمهورية باكستان الإسلامية ، تلك الدولة الوحيدة التي شُيدت على أساس من الدين الحنيف ، فتحقق حلم العلامة إقبال ، وإن لم يقدر له أن يرى باكستان دولة ذات سيادة .

ويروى التاريخ أن أكثر من خمسة ملايين من المسلمين سقطوا شهداء في مسيرة النضال من أجل قيام باكستان ، وعلى الأخص في تلك المذابح التي ارتكبتها جحافل الهندوس عقب إعلان مولد جمهورية باكستان الإسلامية . وكان هدفهم من تلك المذابح ، التي لم يشهد التاريخ الإنساني مثيلا لها ، أن يقضوا على الدولة الوليدة، إلا أن عزيمة حاكمها العام الأول القائد الأعظم محمد على جناح حالت دون تحقيق هدفهم ، وقاد الدولة الوليدة – التي تعد أكبر دولة إسلامية في تلك الفترة – في أصعب مرحلة إلى أن عبر بها إلى بر الأمان ، وصارت مرهوبة الجانب. (٥٣)

ولبى القائد الأعظم محمد علي جناح نداء ربه في الحادي عشر من شهر سبتمبر عام ١٩٤٨ (٥٤) بعد أن كرس حياته لخدمة وطنه في ظروف قاسية . (٥٥)

إن ما حققته باكستان إلىوم من قوة نووية إسلامية – هي الأولى في عالمنا الإسلامي الكبير – يعود دون أدنى ريب إلى فضل العلامة إقبال والقائد الأعظم محمد على جناح ، وكل من ناصروهما في مسيرة

---

(٥٣) راجا رشيد محمود ، إقبال والقائد الأعظم وباكستان (بالأردية) ، ص ١٠١ : ١٠٦ .

جيلانى كامران ، القائد الأعظم وحركة التحرير (بالأردية)، ط٢ ، لاهور ، ١٩٩٠ ، ص ٩٠ : ١٣٩ .

(٥٤) ستانلى ولبرت ، محمد على جناح مؤسس الباكستان ، ترجمة : سهيل ذكار (دكتور) ، ط١، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ١٤٠٨ / ١٩٨٨ ، ص ٤٥٨

(٥٥) حسن محمد جوهر ومحمد مرسى أبو الليل ، باكستان ، ط١، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٦٤ .

نضال شعبنا المسلم في شبه القارة الهندية، والمأمول أن تحذو الدول الإسلامية حذو جمهورية باكستان الإسلامية من أجل مستقبل أفضل لأمتنا.

لقد خلدت باكستان ذكرى العلامة إقبال بأن جعلت منه الشاعر القومي لها. كما شيدت أكاديمية عظيمة تحمل اسمه ، تختص بدراسات إقبال باللغات العالمية الحية .(٥٦) وإلى جانب هذا شيدت كثير من الأقسام العلمية لدراسات إقبال في أكبر جامعات باكستان . (٥٧) وتحتفل باكستان حكومة وشعباً ، بإحياء ذكراه في التاسع من نوفمبر من كل عام ، ويسمى هذا إلىوم بيوم إقبال . إن يوم ميلاده من الأعياد القومية في جمهورية باكستان الإسلامية .

هذا الكتاب :

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا ، وعنوانه بلغته الأصلية اللغة الأردية الإسلامية : "كليات إقبال الأردية" ــ أي الأعمال الكاملة للعلامة إقبال" يتألف من أربعة دواوين ، الأول عنوانه : "رنين الجرس" ، والثاني: "جناح جبريل" ، والثالث : " ضرب الكليم"، والرابع : "هدية الحجاز" ، وعدد أبيات هذه الدواوين أربعة آلاف وسبعمائة وعشرة أبيات.

وكان كل ديوان من الدواوين المذكورة قد صدر في كتاب مستقل، ثم تم جمع هذه الدواوين الأربعة وصدرت في مجلد واحد ، وتفصيل هذا نقول : إن ديوان "رنين الجرس" ــ وهو أول دواوين "إقبال" باللغة الأردية ــ طبع ثلاث طبعات في حياة "إقبال" وذلك في أعوام ١٩٢٤ و١٩٢٦ و١٩٣٠ وجاء في ثلاثمائة وست وثلاثون صفحة . أما ديوانه الثاني الذي

---

(٥٦) زار كاتب هذه السطور أكاديمية إقبال بمدينة لاهور عدة مرات في كل سفرة إلى باكستان ، وشاهد بها المكتبة الضخمة التي تضم آلاف من الكتب المؤلفة عن العلامة إقبال باللغات الحية .

(٥٧) نذكر منها قسم إقباليات في الكلية الشرقية من جامعة بنجاب بمدينة لاهور ، الذي زاره كاتب هذه السطور ، والتقي فيه بالعديد من الأساتذة وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور سيد محمد أكرم أكرام رئيس القسم .

نظمه من بعد فهو "جناح جبريل" ، صدر مرة واحدة في حياة "إقبال" وذلك عام ١٩٣٥ ، ويقع في مائيتن وأربع وعشرين صفحة . أما ديوانه الثالث الذي نظمه بعد كل من "رنين الجرس" "وجناح جبريل" ، فهو "ضرب الكليم" صدر كذلك مرة واحدة في حياة "إقبال" عام ١٩٣٦ ، وجاء في مائة واثنتين وثمانين صفحة . أما ديوانه الرابع والأخير وهو "هدية الحجاز" فيحوي أخر ما نظمه "العلامة محمد إقبال"، ولقد صدر بعد رحيله عن دنيانا ، وذلك في عام ١٩٣٨ . وكانت نقطة التحول عام ١٩٥٣ حين جمعت هذه الدواوين الأربعة وصدرت بين دفتي كتاب واحد عنوانه : "كليات إقبال الأردية" ــ أي الأعمال الكاملة للعلامة إقبال ــ وجاء هذا الكتاب في أربعمائة وسبع وستين صفحة . ثم أعيد إصداره عام ١٩٦٢ وقد حُذفت بعض منظومات الديوان الأول أي "رنين الجرس" . وجاءت هذه الطبعة في مائتي وأربع وستين صفحة . ومن بعد رغب المستشار "جاويد" ابن "إقبال" إعادة إصدار هذه الدواوين الأربعة ، فتصدى لهذا العمل معتمدا على المخطوطات الأصلية للدواوين الأربعة ، وأصدرها في كتاب واحد عنوانه :" كليات إقبال الأردية" وذلك في مدينة لاهور الباكستانية في عام ١٩٧٣ . ثم صدرت الطبعة الثانية في شهر يناير من عام ١٩٧٥ ، أما الطبعة الثالثة فكانت في عام ١٩٧٧ . وتبع هذا العمل الكبير الذي قام به ابن "العلامة محمد إقبال" ، إصدار "كليات إقبال الأردية" في طبعات عدة في كل من باكستان والهند ، إلى أن أخذت أكاديمية إقبال الباكستانية في مدينة لاهور ، على عاتقها إخراج هذا الكتاب الجامع في طبعة فخمة تليق به ، فكان إصدار الطبعة الأولى منه عام ١٩٩٠ ، ثم أعادت إصداره في عام ١٩٩٢ ، وجاءت الطبعة الثالثة في هذه الأكاديمية في عام ١٩٩٥ ، والرابعة في عام ١٩٩٧ . وهذه الطبعة الأخيرة هي التي اعتمدنا عليها في ترجمة هذا الكتاب إلى العربية نثراً ، وهي في سبعمائة وخمس وخمسين صفحة . وكان الدافع من وراء إعتمادنا على الطبعة الصادرة من أكادمية إقبال الباكستانية ، صحة متنها واعتمادها على أصل مخطوطات الدواوين الأربعة التي خطها "إقبال" بقلمه .

رنين الجرس :

يتضمن ديوان "رنين الجرس" ــ الذي صدر في طبعته الأولى في الثالث من سبتمبر عام ١٩٢٤ ، كما ذكرنا من قبل ــ باكورة ما نظم "إقبال" من شعره الأردي فضلاً عما نظمه أثناء مقامه في أوربا وعقب عودته منها وحتى قبل إصداره عام ١٩٢٤ . ولقد اهتم أدباء الأردية بهذا الديوان ، فصدرت عشرات من الكتب فيها شرح مستفيض له . ولعل أهم هذه الشروح ما قام به صديق "إقبال" الأديب المعروف "غلام رسول مهر".

ويجدر بالذكر أن "إقبالا" في تلك الفترة المبكرة من شبابه كان ينظم باللغة الأردية ليس إلا ، ويسرع إلى الأديب "عبد القادر" مدير مجلة "مخزن" الأردية لينشر له منظوماته . ولقد قام هذا الأديب الكبير بكتابة تقدمة ديوان "رنين الجرس" في طبعته الأولى .

ويحوي "رنين الجرس" منظومات في ثلاثة أجزاء، الأول باكورة منظومات "إقبال" وحتى عام ١٩٠٥ ، والثاني ما نظمه بين عامي ١٩٠٥ و١٩٠٨ ، أما الجزء الثالث فيتضمن منظوماته التي نظمها في عام ١٩٠٨ وحتى قبيل إصداره في طبعته الأولى في عام ١٩٢٤ . وهذا الديوان يتألف من ألفين وأربعمائة وسبعة وستين بيتاً ، وعدد منظوماته مائة وأربع وأربعون منظومة .

جناح جبريل :

بعد أن أصدر "إقبال" ديوانه الأردي الأول أي "رنين الجرس" ، توجه للنظم باللغة الفارسية ، وظل على هذا المنوال مدة عشر سنوات . ثم عاد إلى النظم باللغة الأردية في التاسع من شهر سبتمبر عام ١٩٣٤ ، حيث بدأ نظم ديوانه الثاني واختار له عنوان : "نشان منزل" ــ أي علامة المنزل ــ إلا أنه بدّل هذا العنوان إلى "جناح جبريل" . وصدر هذا الديوان في طبعته الأولى في لاهور في يناير عام ١٩٣٥ ــ كما ذكرنا من قبل ــ ويقع في ألف ومائة وستين بيتاً ، ويحوي غزليات في جزئين الأول يتألف في ستة عشر غزلية ، والثاني من إحدى وستين غزلية ويليها رباعيات عددها إحدى وأربعون رباعية . وتتجلى في هذا الديوان نزعة "إقبال" الإصلاحية.

ضرب الكليم :

هو الديوان الثالث "لإقبال" صدرت طبعته الأولى في مدينة لاهور في يوليو من عام ١٩٣٦ . وكان "إقبال" قد عزم على إصداره عقب ديوانه الثاني بشهور معدودات، حيث أتمه في أوائل عام ١٩٣٦ ، واختار له عنوان : "صور إسرافيل"، غير أنه أقدم على تبديل عنوان هذا الديوان إلى "ضرب الكليم" ــ مثلما فعل مع ديوانه الثاني ــ ولم يكتف بهذا بل رغب أن يوضح هذا الاسم باسم آخر هو : "إعلان الحرب على العصر الحاضر" ، ويقع هذا الديوان في ثمانمائة وسبع وثلاثين بيتاً . وهذا الديوان ينقسم إلى خمسة أقسام هي : "الإسلام والمسلمون"، "والتعليم والتربية" ، "والمرأة" ، "الأدب والفنون الجميلة" ، "وسياسات الشرق والغرب" .

ومما لا ريب فيه أن هذا الديوان يعد أهم دواوينه الأردية ، التي يتجلى فيها فكره الفلسفي ــ القائم على الذاتية ــ ونزعته الإصلاحية ودعوته الإسلامية .

هدية الحجاز :

"هدية الحجاز" رابع دواوين "إقبال" ، ويحوى آخر ما نظمه باللغتين الأردية والفارسية ــ وإن كان القسم الذي نظمه بالفارسية يستغرق نحو الثلثين ــ وكان "إقبال" قد رحل عن عالمنا ولم يكن قد اختار له عنواناً ، فقام بعض أصدقاء "إقبال" بإصداره ــ بقسميه الأردي والفارسي ــ في كتاب ، وذلك في شهر نوفمبر عام ١٩٣٨ ، تحت عنوان : "هدية الحجاز" . ثم وفي عام ١٩٥٣ صدر القسم الأردي من هذا الديوان ضمن " كليات إقبال الأردية" ــ أي الأعمال الكاملة للعلامة إقبال ــ تحت عنوان "هدية الحجاز" .

ويقع هذا الديوان في مائتين وخمسة وعشرين بيتاً ، ويتضمن اثنى عشرة منظومة وثلاث عشرة رباعية .

أول ترجمة إلى لغة الضاد :

وهذا الكتاب يتضمن جل فكر "إقبال" . ولقد وقف جانبا من حياته ــ منذ شبابه المبكر وحتى رحيله عن دنيانا ــ لإخراج روائعه المنظومة وتقديمها إلى أمته الإسلامية على تعاقب أجيالها الواعدة .

ولعل هذا الكتاب أهم آثار "إقبال" الأدبية المنظومة ، التى تجلى فيها فكره الإسلامي المستنير ، لإقدامه على نظمه بلغته الأم اللغة الأردية الإسلامية . ومن المعلوم أن أي مبدع صاحب رسالة سامية يخلف أفضل ما تجود به قريحته بلغته الأم. وكان هذا من أهم الدوافع التى دفعتنا لتحمل عناء ترجمته إلى لغة الضاد .

ونحمد الله تعالى ، أن منّ علينا ووفقنا لترجمة هذا الكتاب الهام عن الأردية إلى العربية نثراً ــ وهي أول ترجمة كاملة إلى لغة الضاد في مصر والعالم العربي ــ وأخرجناه هدية إلى القارئ العربي في لغة أدبية سهلة ، ليتحقق هدفنا المنشود من وراء اعتكافنا مدة عام بالتمام لإنجازه . والمأمول أن يجد الاهتمام اللائق بهذا العمل الأدبي الكبير ، خاصة بين شباب العالم العربي .

وعلى الله قصد السبيل ،،،

حازم محفوظ

القاهرة في شهر يناير من عام ٢٠٠٥ .